مقياس: تعليمية التاريخ / طرائق التدريس

المستوى: السنة الثالثة تاريخ عام

المحاضرة الثالثة: سيكولوجيا التلميذ وعلاقتها بطرائق التعليم

مقدمة

تُعدّ طرائق التعليم من أهم مكونات العملية البيداغوجية، غير أنّ فعاليتها لا تتحقق إلا بمدى توافقها مع خصائص المتعلم، فالتلميذ ليس كائنًا مجردًا، بل هو كيان نفسي ومعرفي واجتماعي، يتفاعل مع المواقف التعليمية وفق بنيته الخاصة، ومن هنا تبرز أهمية سيكولوجيا التلميذ باعتبارها الأساس الذي ينبغي أن تُبنى عليه مختلف طرائق التعليم.

وعليه، كيف تؤثر سيكولوجيا التلميذ في اختيار وتكييف طرائق التعليم؟

أولاً: مفهوم سيكولوجيا التلميذ وعلاقتها بالتعليم

سيكولوجيا التلميذ أو المتعلم هو أحد فرع علم النفس التربوي، الذي يدرس "التعلم" بشكل خاص، أي بمدى قدرة الإنسان على التعلم تطوير مهاراته، من خلال دراسة العمليات العقلية عند المتعلم ، سلوكه داخل الوضعية التعليمية، دوافعه، قدراته المعرفية،حالاته الانفعالية، وتفاعلاته الاجتماعية، وتحفيز قدراته على الإبداع... ويركز علم النفس التربوي بالأخص على فئة الأطفال والشباب الأقل من ستة عشر سنة. أما علاقتها بطرائق التعليم فتتجلى في كون كل طريقة تعليمية ناجحة يجب أن تكون ترجمة عملية لفهم نفسي دقيق للمتعلم (للتلميذ) بحسب المرحلة العمرية التي يمر بها.
(العزيز، 2024، الصفحات 691- 706).

ثانياً: أثر النمو العقلي في اختيار طرائق التعليم

يمر التلميذ بمراحل نمو عقلي تختلف فيها قدرته على الفهم:

ففي **المرحلة الابتدائي** يعتمد على المحسوس، فالطفل في المرحلة العمرية ما بين (6- 11 سنة) لا يستطيع استيعاب المفاهيم المجردة البحتة (الجن، الآخرة، العصور القديمة...)، وهذا يقتضي منأً تطبيق طرائق تعليمية حسية تناسب المرحلة العمرية للتلميذ، طرائق تعتمد في التعلم على اللمس، النظر، أو السماع(أشياء، صور، أشكال، أصوات، ذوق...)،كما تقتضي الطرائق في هذه المرحلة تفادي الإلقاء النظري واعتماد العرض العملي، والتعلم باللعب.

أما في **مرحلة التعليم المتوسط** يبدأ التلميذ في التفكير المنطقي والعمليات المجردة، ويصبح العقل قادراً على الربط بين الأسباب والنتائج دون الحاجة إلى مؤثرات حسية، وهذا يقتضي الانتقال إلى طريقة الحوار والمناقشة لحل المشكلات، ثم الاستنتاج.

في **المرحلة الثانوية:** يصل إلى التفكير المجرد، وهذا يقتضي تطبيق طرائق تعتمد، الحوار، المناقشة و الحجاج، ويخلص إلى الاستنتاجات.

ومنه نستنتج أن طريقة التدريس يجب أن تتطور بتطور البنية العقلية للتلميذ.

مثال: نبدأ بتحليل أسباب الثورات، وتأثير الاقتصاد في السياسة، ومقارنة الأنظمة المختلفة.

ثالثاً: أثر النمو الانفعالي في الممارسة البيداغوجية

يتأثر التلميذ انفعاليًا بالمواقف التعليمية، فقد يؤدي به الخوف أو الخجل إلى ضعف المشاركة والتفاعل مع الدرس والأستاذ مما يدفعه إلى الجمود والانطواء على نفسه، وقد يدفعه إلى الشرود الذهني، في حين يؤدي التشجيع إلى التفاعل الإيجابي مع الدرس ورفع قدرات التحصيل لديه.

وعليه فالطرائق السلطوية تولد القلق والانغلاق لدى التلميذ، في حين الطرائق التفاعلية تعزز الثقة والمشاركة،لذا يجب اختيار طريقة التدريس التي تراعي الأمن النفسي للتلميذ(الصحة النفسية).

رابعاً: أثر النمو الاجتماعي في بناء طرائق التعليم

يميل التلميذ إلى التفاعل مع الآخرين، خاصة الأقران، وهذا يتطلب طرائق تدريس تعتمد التعلم التعاوني عن طريق تنظيم العمل الجماعي(المشاريع، البحوث المشتركة)، فالتلميذ يتعلم ليس فقط من المعلم، بل أيضًا من الجماعة.

كما أنَّ طرائق التعلم من الجماعة تسمح للتلاميذ بتنمية القدرة على إقامة علاقات اجتماعية إيجابية في الوسط المدرسي، من خلال علاقات إيجابية مع المعلمين، الزملاء، احترام القوانين والأنظمة المدرسية، المشاركة في الأنشطة الجماعية، مما ينمي لدى التلميذ القدرة على التكيف النفسي والانفعالي وكذا الثقة بالنفس، والاستقلالية، ويساعده على تنمية قدرات دافعية التعلم لديه، والتَّحكم في الضغوط النفسية التي يواجهها في الوسط المدرسي. (ملال، 2017، الصفحات 50-60).

خامساً: الدافعية كعامل محدد لنجاح طرائق التعليم

- تختلف استجابة التلاميذ للطرق التعليمية حسب دافعيتهم، فغياب الدافعية يؤدي إلى فشل الطريقة مهما كانت منسبة للنشاط التعليمي، وحضور الدافعية من أساسيات التعلم الناجح،حتى بوسائل بسيطة.

وعليه فإن الطرائق النشطة ترفع الدافعية والطرائق التقليدية التلقينية تضعفها، فالتعلم النشط هو القائم على التنويع الذي يمنع الملل و يقوم على أساس حل المشكلات، وإثارة الفضول المعرفي، ففعالية الطريقة مرتبطة بقدرتها على تحفيز التلميذ (جديدي، 2014، الصفحات 213- 239).

سادساً: الفروق الفردية وأثرها في تنويع طرائق التعليم

تتجلى الفروق الفردية في إختلاف القدرات العقلية بين التلاميذ من حيث الذكاء(سرعة البديهة والفهم)، قدرات الانتباه والتذكر، القدرة على اكتساب المهارات، الاختلاف في أنماط اكتساب المعرفة(التعلم البصري، السمعي، أو الحركي) (المالك، 2021، الصفحات 82- 101).

وعليه لا يمكن الاعتماد على طريقة واحدة في التعلم بل يجب الاعتماد على تنوع الأنشطة التعليمية(سمعي، بصري، حركي)، ومرعاة الفوارق العقلية بين التلاميذ باعتماد استراتيجية التعليم التفاضلي، التي تهدف إلى تطوير ممارسات التدريس لتناسب الفروق الفردية بين المتعلمين في الفصل الواحد (المالك، 2021، الصفحات 82- 101)..

سابعاً: دور المعلم كوسيط سيكولوجي بيداغوجي

- يتجسد دور المعلم في هذه الحالة في توفير النفسية للمتعلم (التلميذ) من أجل استقبال المعرفة، وهذا يتطلب من المعلم أن يكون ميسر للتعلم، على دراية بالقضايا الأساسية لعلم النفس التربوي، مما يعطيه القدرة على التحليل النفسي لسلوك التلاميذ، ثم تصمم طرائق تعليم مناسبة، رغم اختلاف الحالات (العزيز، 2024، الصفحات 691- 706).
- فالمعلم الناجح هو الذي يُكيّف الطريقة على حسب حاجات التلميذ لا العكس، ويقوم بهندسة المعرفة وتبسيطها دون تشويهها، ويقدمها للتلميذ في سياق تعليمي تفاعلي ، وذلك بتنويع الوسائل التعليمية، طرح الإشكالات، وينظيم العمل الجماعي، يتفادى الإجراءات العقابية ويلجأ إلى تشجيع المتعلمين، وبث روح الثقة بالنفس وحب التعلم.

خاتمة

نخلص في نهاية هذه المحاضرة إلى أن العلاقة بين سيكولوجيا التلميذ وطرائق التعليم هي علاقة تكاملية، حيث:

- تمثل سيكولوجيا التلميذ الأساس النظري
- وتمثل طرائق التعليم التطبيق العملي

فسيكولوجيا التلميذ ليست مجرد تخصص نظري ملحق بعلوم التربية، بل هي أداة منهجية تساعد في تحدد مسار طرائق التدريس ونجاعتها، فالفصل الدراسي ليس كتلة متجانسة، بل هو فضاء تتعدد فيه مستويات النمو العقلي، وتتباين فيه الحاجات الانفعالية والاجتماعية.

إن فهمنا العميق لسيكولوجيا التلميذ هو ما يخرج التدريس من دائرة العشوائية إلى رحاب العلمية، ويجعل من الدرس وضعية حية تمنح المتعلم المعرفة والثقة والقدرة على التكيف الاجتماعي في آن واحد.

سؤال للمناقشة :إذا كان النمو العقلي يفرض علينا التدرج من المحسوس إلى المجرد، فكيف يمكننا "تجسيد" المفاهيم التاريخية الغيبية أو الزمانية البعيدة لتلاميذ المرحلة الابتدائية دون الوقوع في فخ التجريد المعقد؟